من تراب الطريق! (٢٢٨)

" ثقافة الأونطة " ! (*)

من شهور كتبت للأهرام مقالاً عن الظاهرة الصوتية وثقافة الهدير، وهى آفة ضربت فى حياتنا ضربا ملأها صخباً وضجيجاً وضوضاء وصياحاً وهتافاً وهياجاً وإهاجةً وثورةً وإثارةً واستثارةً وانفعالاً وتشويشاً .. ممزوجاً ذلك كله بالتفاهة والاصطناع ومفارقة الموضوعية !

استحضر معانى هذا المقال، طروء ما أسميه " ثقافة الأونطة " .. وهى بدورها عَرَض ومرض وإن لم يكن جديداً، إلاّ أنه طفق فى الزيادة والانتشار يصفق له الأشياع والأتباع، وقد ينخدع به السذج والطيبون !!

فى إحدى صحفنا القومية، طالعت - ٢٠٠٩/٣/١٥ - عنواناً بالخط العريض يقول : " ..... يدعو لفتح باب التطوع للدفاع عن السودان " ! .. وفى التضاعيف أن المنادى بفتح باب التطوع لمهمة مجهولة لدفاع عن السودان غير مفهوم، قد ألقى بهذه الدعوة " العنترية " فى مؤتمر موسع حضره مسئولون حزبيون وخلافه، وأن هذه الدعوة - العنترية - لفتح باب التطوع تأتى على غرار - لاحظ على غرار ! - دعوة المحامين بمصر للتطوع للجهاد فى لبنان وقت حرب ٢٠٠٦ بين حزب الله وإسرائيل، ودعك من تقديم حزب الله على إسرائيل وكأن الحزب هو الذى اصطنع الحرب ولم يكن مدافعا عن غزو إسرائيل للبنان !

نعود إلى " على غرار " ! فقد مضى الغزو الإسرائيلى للبنان عام ٢٠٠٦، دون أن نرى متطوعاً يخرج من قبل الداعى لمساندة حزب الله فى

(*) المال ٢٠٠٩/٣/١٨

دفاعه عن أراضى لبنان، ولم نر الداعى يتمنطق فيذهب ليتخندق مع المتخندقين فى لبنان لصد الغزو الإسرائيلى، ولم نر حصاداً من أى نوع لهذه الدعوة العنترية التى أطلقت عام ٢٠٠٦، ونسيها الناس كما نسيها الداعى، ولم يتذكرها أحد إلاّ لكون " الدعوة الجديدة " للتطوع للدفاع عن السودان - قد جاءت " على غرارها " ! .. ولا يعرف أحد أى " غرار " يقصد كاتب الخبر المصدر بالمانشيت بالصحيفة القومية، هل هو إشارة خبيثة إلى أن الدعوة العنترية الجديدة "على غرار" الدعوة العنترية السابقة التى آلت إلى لا شىء ؟!، أم أنه فى التبريك ودق الطبول والأهازيج وتذكير الناس بالمواقف العنترية المشهودة لصاحب العنتريات، فات الكاتب أن الاستشهاد الذى وقع فيه لا يفيد التطبيل الذى أراده بل ويكشف " الأونطة " التى صار لها ثقافة وزعماء ورواد ومشجعون وهتيفة ! .. الأغرب أن تقع صحيفة قومية فى مطب ترويج بل وتصدير هذه " الأونطة "، وتستف لها المانشيت العريض ودون أن تعنى ببحث مضمون هذه الدعوة العنترية بفتح باب التطوع للدفاع عن السودان ؟!!

أى دفاع، وأين، وضد من سوف يحارب هؤلاء المتطوعون ؟! . هل هناك جيوش تزحف على السودان الشقيق لنجند لها المتطوعين للدفاع عن السودان وأراضى السودان ؟! . هل تمنطق الداعى صاحب الدعوة العنترية وتطوع هو للدفاع عن السودان ؟! أم الحكاية " طق حنك " كما كانت أيام الغزو الإسرائيلى عام ٢٠٠٦ لجنوب لبنان ؟! .. وهل قال التصريح العنترى والصحيفة التى روجته كيف وأين سيكون هذا الدفاع عن السودان ؟! هل فى " دارفور " مثلاً، وإلى جانب أىٍّ من الفريقين المتصارعين فى دارفور سيكون هذا الدفاع ؟!

يبدو أنه لم يعد يكفينا سيادة وصخب ثقافة الهدير وما يمازجها، فأسلمت بعض صحافتنا نفسها لتجار " الأونطة " .. وخصصت لها المانشيتات للمزيد من تغييب عقل هذه الأمة التى يتكالب عليها المزيفون وبائعو الأباطيل والأوهام !!!